

في رحاب سلسلة

«ذخائر الحرمين الشريفين» (٢)

محمد حسين الواعظ

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزاً وحصناً، وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمناً، تهوي إليه أفئدة المؤمنين، وتشتاق إليه نفوس عباده الصالحين، والصلاة والسلام على محمد النبي الأمين، وآله الطيبين الميامين.

وبعد، لما كانت الكعبة المكرمة قبلةً للمسلمين، وقد فرض الله على

الناس حجَّ بيته الحرام، وكانت المدينة المنورة حرم رسول الله ﷺ مهبطاً للوحي، وموتلاً للقلوب؛ فقد كانت الشيعة الإمامية - كسائر فرق المسلمين - تولي الحرمين الشريفين بالغ الاهتمام، وغاية التعظيم والاحترام، وتبذل في سبيلهما الغالي والنفيس، وتسعى لإقامة الشعائر الإلهية في تلك الديار المقدسة..

إلا أنه مما يؤسف له، أن جهود الشيعة في هذا المجال، وتراثهم العريق، وماضيهم المشرق، لم تحظ بالاهتمام، ولم تلقَ اعتناءً من خلال الدراسات التخصصية، والأبحاث العلمية، والموسوعات الريادية..

أفهل يشكّ اثنان في جهود علماء الإمامية في فقه الحج والزيارة، أم يختلف باحثان في مجد الشيعة الأثيل وماضيهم الحميد في أمر الحج وتاريخ الحرمين الشريفين؛ فلم يخلُ يوماً الحرمان الشريفان من الشيعة الإمامية وعلمائهم، وقد ترك أعلامنا آثاراً خالدة، ومصنفات رائدة في مضمار الحج والحرمين الشريفين.

و مع كثرة الأبحاث و الدراسات التراثية، بقيت ثغرة خطيرة و فجوة علمية كبيرة من البحث و التحقيق، و هو تاريخ الشيعة الإمامية في الحرمين الشريفين و أمر الحج، و تاريخ أعلام هذه الطائفة المحقة ممن نشأ في تلك البلدتين المقدستين أو قطن بهما، و جهودهم العلمية، و آثارهم العملية في الحفاظ على الحرمين الشريفين، و تسهيل أمر الحجاج و حفظ نفوسهم، و إلى غير ذلك مما يرتبط بهذا المجال.

و انطلاقاً ممّا مضى، انبرى أحد أعلام الباحثين و الفضلاء المحققين، وهو سماحة العلامة الحجّة الشيخ حسين الوائلي القميّ، دامت فضائله وفواضله، و تصدّى بعزم و إرادة، و شمر عن ساعدي الجدّ و الاجتهاد لدراسة و تحقيق تاريخ الشيعة الإمامية في الحرمين الشريفين، من خلال السلسلة التي يصدرها تحت عنوان: «ذخائر الحرمين الشريفين». و هذه السلسلة من المقالات دراسة شاملة عنها و ما اشتملت عليه من كنوز و نفائس.

فقبل سنين من الزمن، دفعت الهمّة بشيخنا الوائلي أن يطرح على الجهات المعنيّة و المؤسسات المختصة أطروحة مهمّة للغاية تحت عنوان: «الموسوعة المكيّة و المدنيّة الشيعيّة الكبرى»، و هي تشتمل على محورين:

الأول: المواضيع و العناوين المشتركة بين الشيعة و السنة، فمن المعلوم أنّ الحجّ و الحرمين الشريفين تجمع كافة فرق الإسلام، و عامّة أهل القبلة، و هي إحدى القواسم المشتركة بينهم، الداعية لاتحاد صفوفهم، و كلمتهم.

الثاني: المواضيع و العناوين الخاصة بالشيعة في الحرمين الشريفين، نحو: تاريخ الشيعة و علمائهم، و رواية الأحاديث في الحرمين الشريفين، و ما بذله الشيعة في خدمة الحجّاج و تعمير الحرمين... و ما إلى ذلك ممّا طرح بالسط و التفصيل في مقالة جامعة نشرت في مجلّة (آئنه پژوهش

[=مرآة التحقيق]، العدد ٩٧، ص ٨٤ - ٩١).

ولكنّ ممّا يؤسف له - كلّ الأسف - أنّ هذه الأطروحة العلمية البكر لم تلقَ من العناية والاهتمام كما تستحق، ولم يتوجّه إليه ذوو الجهات المعنيّة من رجال العلم والثقافة، ولم تذكر كإحدى الأطروحات الضرورية لكونها تفتح آفاقاً جديدة من البحث والتحقيق، و لكونها غير مطروحة من قبل، و تعتبر لازمة البحث والدراسة، و صارت حاجة ملحةً عصرية، مع تطوّر آلات البحث، و وفرة أدواته التي كانت من قبل معدومة، و هكذا بقي الحال من عدم العناية والإهمال، حتّى كاد أن يكون هذا العمل مهجوراً، و كأن لم يكن شيئاً مذكوراً...

إلاّ أنّ ذلك لم يكن ممّا يضعف همّة شيخنا الباحث، أو يني من سعيه، حتّى تصدّى بنفسه و باهتمام بالغ، و عمل دؤوب لإخراج سلسلة من الأعمال العلمية التراثية الحقيقية و التأليفية، لتكون جابرة لهذه الثغرة العلمية، و كاسرة لهذا السدّ التراثي، ألا وهي سلسلة «ذخائر الحرمين الشريفين» التي نهتمّ بتعريفها في هذه السلسلة من المقالات، و إليك - الآن - المجلد الثالث من هذه السلسلة المباركة و ما اشتملت عليه:

٣ - التراث المكي

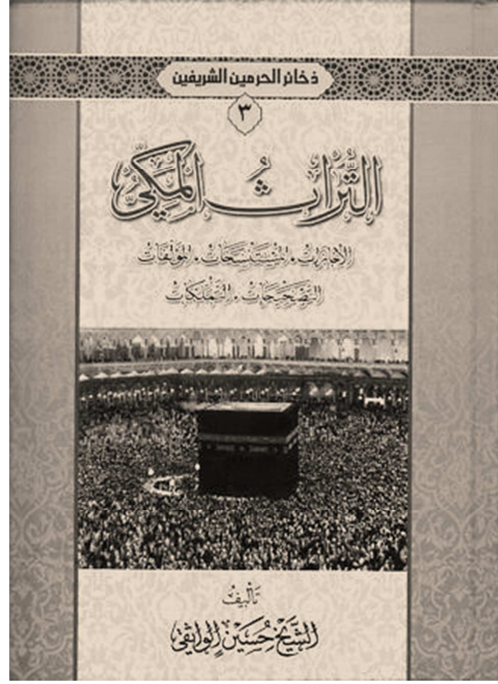
الإجازات ، المستنسخات ، المؤلفات ، التصحيحات ، التملكات

تأليف: الشيخ حسين الوائلي، الناشر: دانش حوزة، قم المقدسة - إيران،
الطبعة الأولى، سنة ١٤٣١هـ، ٦٦٤ ص ، مصور.

يعتبر الكتاب مصدراً مهماً لمعرفة تاريخ الشيعة العلمي والثقافي في مكة المكرمة، حيث اشتمل على مئات الوثائق والأسناد التاريخية المختصة بالشيعة الإمامية في البلد الحرام؛ وبعبارة أدقّ فالكتاب يتضمن بين دفتيه تاريخ الحوزة العلمية الإمامية في الحرم المكي في القرون؛ من العاشر إلى الثالث عشر الهجرية، خصوصاً القرن الحادي عشر الهجري. وهذه الوثائق التاريخية والعلمية تكشف عن النشاط العلمي الباهر لعلماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في بلد الله الأمين، وحضورهم العلمي الواسع في ميادين العلم، والتدريس، والإفتاء، والقراءة، والكتابة، والتصحيح، والتحقيق، والتأليف.

وفي الوقت نفسه فهذه الوثائق تؤرخ الحوزة العلمية للشيعة هناك من حيث إتاحة الفرصة لهم، وتهيئة الظروف الاجتماعية والسياسية، وهجرة أعلام المذهب الإمامي من شتى البلدان - كإيران، والعراق،

ولبنان، والشام، والبحرين، والقطيف، والأحساء، والهند — إلى مكة المكرمة، وحسن مجاورتهم بالعمل، والعلم، والأدب، والعبادة.



تنقسم الوثائق المكية إلى عدة أقسام، وهي كما يلي:

الأول: الإجازات المكيّة، (من الصفحة: ١٧ إلى الصفحة: ١٧٦).
وقد أثبت المؤلف (حفظه الله) في هذا القسم ١٠١ إجازةً وإنهاءً وروايةً سجّلت في مكة المكرمة، في ٩١ منها كان المجيز والمجاز فيها من أصحابنا الإمامية، كما كانت بعض تلك الإجازات من الأعلام المجاورين بتلك

البلدة المباركة، وبعضها من الحجاج والمعتمرين، كما كان المجيز في سبع من الإجازات من أهل السنة والمجاز شيعي إمامي، وواحدة منها كان المجيز شيعياً زيدياً.

إنّ نصوص هذه الإجازات في الأغلب المقارب للجميع تنشر لأول مرة، وهي أدلة ناصعة على العلاقات العلمية الوطيدة بين علماء الإسلام في الأرض المقدسة، وتوادّهم وتزاورهم ومؤازرة بعضهم لبعض.

انتهج المؤلف في سرد هذه الإجازات بترتيب أسماء المجيزين على حروف الهجاء، فذكر الإجازات أولاً، ثم الإنهاءات والروايات ثانياً. أما الإجازات، فبيّندى بتعريف المجيز أولاً، ثم التعريف بالمجاز، ثم تأريخ الإجازة، ثم مكان الإجازة، ثم مصدر الإجازة، ثم نصّ الإجازة إن وجد، وقد اكتنفت بعض الإجازات توضيحات وتعليقات من المؤلف (حفظه الله)، ففي ذيل اسم الشيخ محمد بن الحسن بن زين الدين الشهيد الثاني، أدرجت في الهامش ساير إجازاته، باعتباره قضى شطراً طويلاً من عمره بجوار الحرم الشريف.

الثاني: الاستنساخات المكيّة، (من الصفحة: ١٧٧ إلى الصفحة: ٣٥٨).

وقد أثبت المؤلف المتتبع في هذا القسم ثلاث مائة مخطوطة استنسخت في مكة المكرمة، وذيلها باثنتي عشرة مخطوطة استنسخت في الطائف، باعتباره مصيف أهل مكة، وتابع لحكومتها، فيكون المجموع ٣٢٠ مخطوطة، موجودة كلها في خزائن المخطوطات، وهي من كتب

الإمامية والتي استنسخها نساخ إماميون، فهم غالباً من العلماء الذين استنسخوا الكتب للقراءة على المشايخ، ويمكن أن يكون مهنة بعضهم الاشتغال بالوراقة والاستنساخ؛ إن هذه الخدمات الجليلة من جملة الأعمال العلمية والثقافية التي كانت سائدة تلك الأزمنة، وأن العاملين عليها غالباً كانوا من أهل العلم والفضل.

نعم، اشتمل هذا القسم على عشرين مخطوطة كان المؤلف إما من أهل السنة أو ممن لم يعلم حاله، وبما أن الناسخ من أصحابنا الإمامية، أدرجه المؤلف المحترم أيضاً، لما فيه من الفوائد العلمية ما لا تخفى على الناقد البصير.

سلك المؤلف في هذا القسم منهج الفهرسة للمخطوطات، حيث ذكر اسم الكتاب أولاً، ثم يذكر اسم المؤلف الكامل، ثم أول النسخة وآخرها، مكان الكتابة، تاريخ الفراغ من الكتابة، الكاتب، المستكتب، الموضوع، ثم يذكر محل وجود النسخة في أي من المكتبات الإسلامية، والمصدر.

وفي بعض الأحيان يذيل المؤلف بعض الفوائد تحت عنوان: «أقول».

ومن خلال التأمل في المستنسخات المكية تبدو هذه الموارد:

١. إن جملة من هذه المستنسخات هي أيضاً مؤلفات مكية، يعني كتبت بأقلام المؤلفين؛ سواء كانوا من أهل مكة والمجاورين بها، أو من الحجاج والمعتمرين، ومن جاء للزيارة.

٢. إن جملة من المستنسخات مؤلفات مكية، إلا أنها ليست بأقلام

مؤلفيها، فكأنما استنسخت على نسخ المؤلفين، مما يعني استمرار الحركة العلمية ما بعد التأليف، ورواج الكتاب المكي بعد تأليفه.

٣. النساخ المكيون من أغفل التاريخ أسماءهم، وهم في الأعم الأغلب من العلماء والفضلاء، ففيهم من كان يستنسخ الكتاب لنفسه.

٤. استنساخ جملة وافرة من أمهات كتب الإمامية، كالكتب الأربعة وكتب الصدوق وغير ذلك من أمهات المصادر في مكة المكرمة.

الثالث: المؤلفات المكيّة، (من الصفحة: ٣٥٩ إلى الصفحة: ٤٢٥).

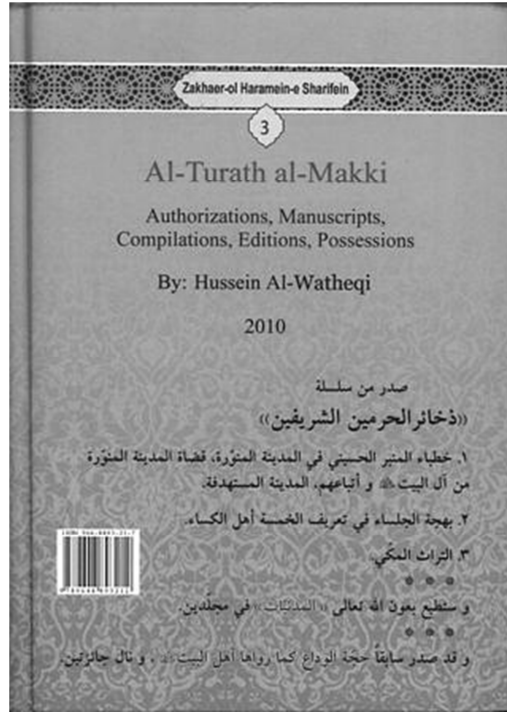
يتضمّن هذا القسم مائة وعشرين تأليفاً شيعياً تمّ في بلد الله الأمين، ممّا ألفه علماؤنا الكرام بمكة المكرمة حين زيارتهم، أو حين توطنهم ومجاورتهم. وقد تثبت المؤلف في نقل آثار علمائنا الذين خلفوا تراثاً ذاخراً وقد قضاوا شطراً من عمرهم بجوار البلد الحرام، فلم يذكر إلا ما ثبت كونه مكياً، نحو الميرزا محمد بن علي الإسترآبادي، صاحب الكتب الرجالية الثلاثة، والمولى محمد أمين الإسترآبادي، والشيخ محمد بن الحسن صاحب المعالم ابن الشهيد الثاني العاملي، فلم يذكر من مؤلفاتهم إلا ما ثبت كونه مكياً.

فابتدئ بذكر اسم الكتاب ومعلومات بليوغرافية، ثمّ يذكر النسخ الخطية الموجودة منه.

هذه هي الأقسام الثلاثة العمدة في الكتاب، إلا أن المؤلف ذيلها بفهرسة وإحصاء جملة من الكتب المكيّة الأخرى، وهي كالتالي:

١. المستنسخات بالطائف (ص ٤٢٦ - ٤٣٣)، وهي اثنتا عشرة مخطوطة.
٢. المؤلفات بالطائف (ص ٤٣٤)، ذكر مؤلفاً واحداً.
٣. المؤلفات في طريق الحج (ص ٤٣٥ - ٤٥٤)، وهي ستة وثلاثون مؤلفاً تمّ تأليفها في طريق الحج؛ ذلك أنّ السفر في الأزمنة السابقة كان عملاً شاقاً، وكان العلماء يشتغلون في أيام السفر الطويلة والشاقة بتأليف الكتب ومطالعتها، وقد فهرس المؤلف وأحصى جملة من المؤلفات التي كتبت في الطريق إلى مكة المكرمة، فهي خير دليل عيني على عظيم مثابرتهم الثقافية وجهدهم العلمي.
٤. المستنسخات في طريق مكة المكرمة (ص ٤٥٥ - ٤٦٥)، وهي أدلة راسخة على واجبهـم العلمي والثقافي، وحضورهم الفعّال في طريق الحج وقد أحصى فيها ٢٣ مخطوطة استنسخت في طريق الحج.
٥. كتب اقترح تأليفها في مكة المكرمة (ص ٤٦٦ - ٤٨٠)، وهي حجة على شهود علمائنا ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ التي جعلها الله في الحج للمسلمين، وهي تسعة كتب.
٦. قراءة الكتب والمقابلة والتصحيح في مكة المكرمة (ص ٤٧١ - ٤٨٨)، وهي دليل على حضور أصحابنا الثقافي في حرم الله تعالى، وانتهازاً الفرص حين مجاورته، وترتيب هذه الوثائق على أسماء من قرأ، وقابل، وصحّح، على أساس حرف الهجاء، وذكر فيها ٤٣ مخطوطة

قوبلت، أو صحّحت، أو قرأت في مكة المكرمة.



٧. المخطوطات التي تملّكت في مكة المكرمة أو الطائف (ص ٤٨٩ - ٤٨٨)، وهي حجةٌ على النشاطات الثقافية لعلمائنا الأبرار، حينما حجّوا أو جاوروا بيت الله الحرام، وهي سبع وعشرون مخطوطة.
٨. كتب فقدت في طريق الحجّ (ص ٤٩٨ - ٤٩٩)، وهي خير شاهد على اهتمام علمائنا بالعلم، والمكتبة السيّارة في حملات الحج، وهي سبع كتب.
٩. الكتاب أجر الخدمة أو النيابة في الحج، أو ما شابه ذلك

(ص ٥٠٠ - ٥٠٢)، وذكر فيها المؤلف أربعة نماذج.

ومن خلال التأمل والنظر في أقسام هذه الوثائق، وعناوينها، ومصادرها، تتجلى للقارئ الكريم عدّة نقاط:

أولاً: أنّ مصادر هذه المعلومات غير مدونة، وهي مواد مبعثرة متفرقة في كتب ومصادر غير معيّنة، مما يستنزف جهداً بالغاً ووقتاً كثيراً لجمع شتات هذه المواد، وترتيبها وتنظيمها.

ثانياً: يعتمد الكتاب بشكل واضح على المخطوطات وفهارس المكتبات وخزائن المخطوطات، ومن المعلوم أنّ عملية الفهرسة بطيئة، فهناك عشرات الآلاف من المخطوطات تنتظر الفهرسة، كما أنّ الفهارس الموجودة الآن مملأى بالأخطاء وشحيحة بالمعلومات الجانبية المهمّة، نظراً لتسرع المفهرسين وعدم تمرّسهم.

ثالثاً: أنّ جلّ معلومات الكتاب أو ما يقارب الكلّ هي مما تنشر وتجمع لأول مرة بترتيب وتنظيم فنيّ دقيق، وكلّ ذلك جهداً فرديّ وبإمكانيات محدودة، ممّا يكشف عن همّة المؤلف العالية، ومثابرته الواعية.

ولعلّ الله تعالى يقيّض ذوي الهمم العالية والمؤسسات الثقافية للقيام بمثل هذه الجهود المباركة، كالبحث في فهارس المخطوطات أكثر فأكثر، والتفحص في المخطوطات أوسع فأوسع، ويجمعون موادّ هذا الموضوع المهمّ، ثمّ يدوّنونها ويطبّعونها حتى يعلموا إخوانهم من سائر المسلمين،

حيثما وجدوا الفرصة والفسحة جهدوا وجاهدوا في الميادين العلمية، وأثمروا ثمرات مفيدة، وأنتجوا نتائج عظيمة.

وقد قرّض العلامة المحقق السيد عبد الستار الحسيني نظاماً على الكتاب، وتاريخ طبع الكتاب في بيتين، لا يخلو ذكرهما من فائدة:

سِفرٌ أتى تاريخُهُ مُوجِزاً يُعربُ عَنْ تَفْصِيلِهِ الرَّائِقِ	
لِللّهِ مِنْ مَوْسُوعَةٍ أَرَحُّوا: «فِي لِمَهَا وَثَائِقُ الْوَائِقِي	

سنة ١٤٣١هـ ق.

كما اشتمل الكتاب في آخره على فهرس فنيّة (ص ٥٠٣ - ٥٨٤)، ومصورات ملوّنة نفيسة في (٨٠ ص)؛ وفي الواقع هذه المصورات ألبوم من نماذج خطوط علمائنا المكيين، وهي مائة وخمس مصورة من شتى مكليات العالم.

وهذا الكتاب يعتبر مصدراً مهماً ومفيداً جداً في البحث والدراسة

عن المواضيع التالية:

❖ الأدب المكّيّ الفئّيّ والمتنوّع.

❖ تاريخ مكّة المكرّمة.

❖ تاريخ الجامعات الدينية والحوزات العلمية.

❖ تاريخ الحضارة الإسلامية العامة.

❖ تاريخ الشيعة الإمامية في مكّة المكرّمة.

كما يفيد في تعارف المسلمين بعضهم مع البعض الآخر، وتعرّف

إخواننا أهل السنة على نشاطات الشيعة العلمية في مكة المكرمة، ومواضيع و جهات أخرى ليست بخافية على المتأمل.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن المؤلف قد استدرك على هذا الكتاب مستدركاً واسعاً طبع في ضمن كتابه الآخر «المدنّيات ٢: ١١٦١ - ١٢٣٤»، فترتفع بذلك أعداد الوثائق بأكثر مما ذكر.

وإليك تفصيل المستدرك على التراث المكّي:

١. المستدرك على الإجازات المكية، وقد استدركت فيه ثمان إجازات مبسوطات.

٢. المستدرك على المستنسخات المكية، وقد استدرك فيه المؤلف ٤٦ مخطوطة استنسخت في مكة المكرمة.

٣. المستدرك على المستنسخات في الطائف، تضمّن أربع مخطوطات.

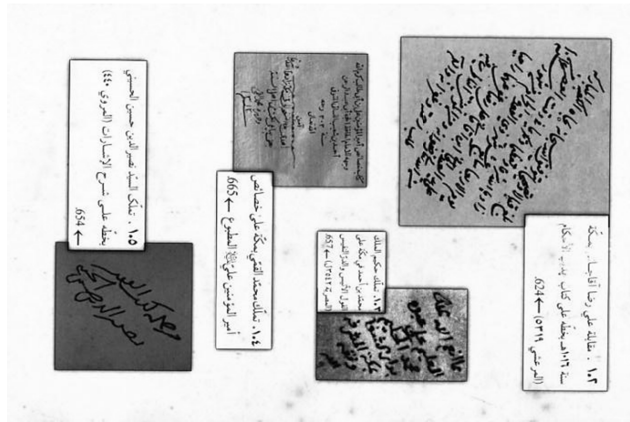
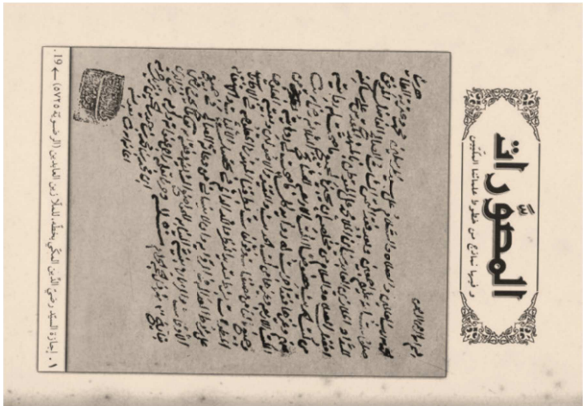
٤. المستدرك على المؤلفات المكيّة، وقد اشتمل على تسعة مؤلفات أخرى، مضافاً إلى استدراك معلومات جديدة حول المؤلفات التي ذكرت سابقاً، كالعثور على مخطوطة جديدة و ما إلى ذلك.

٥. المستدرك على التملّكات في مكة المكرمة، تضمّن على اثني عشر تملّكاً نفيساً على ترتيب أسماء المتملكين، و أورد نصّ اثنين من التملّكات.

٦. المستدرك على المقابلة وتصحيح الكتب في مكة المكرمة، استدرك فيه ثمانية نماذج من المقابلة والتصحيح.

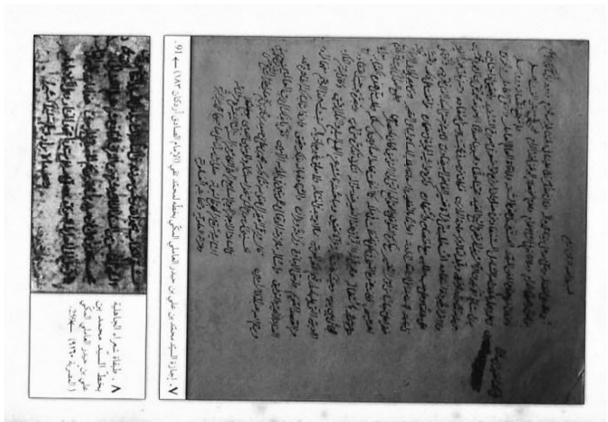
٧. المستدرك على المؤلفات في طريق مكة المكرمة، وقد ذكر فيه ثمانية كتب.
٨. المستدرك على المستنسخات في طريق الحج، وفيه خمس مخطوطات.
٩. المستدرك على الكتب التي اقترح تأليفها في مكة المكرمة، وفيه نموذج واحد.
١٠. الكتب التي ألفت لأجل آل أبي نمي الحاكمين بمكة المكرمة، و ذكر فيه أربعة عشر كتاباً صنّف لأجل السادة الأشراف من آل أبي نمي.





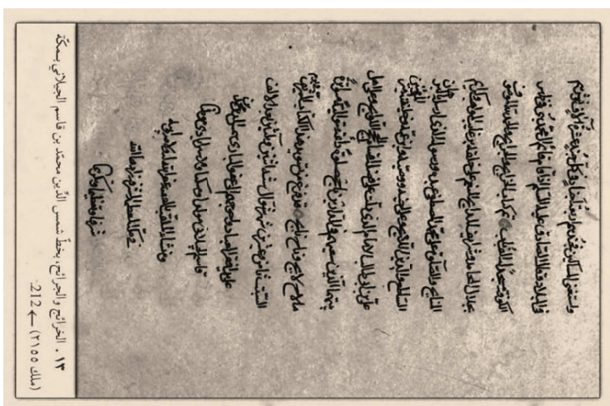
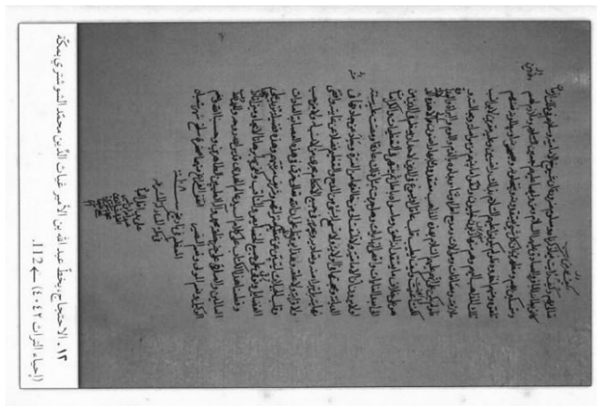
جلسة ذخائر الحرمين... (٢)

تنازع المخطوطات:



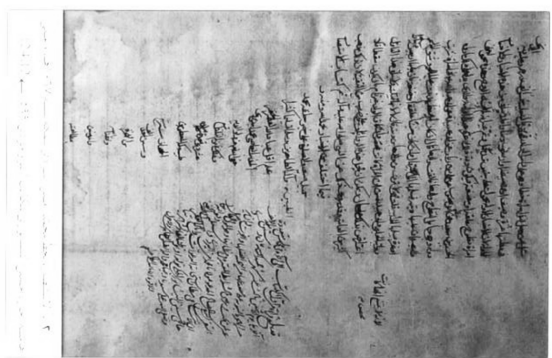
جلسة نضائر الحرمين... (٢)

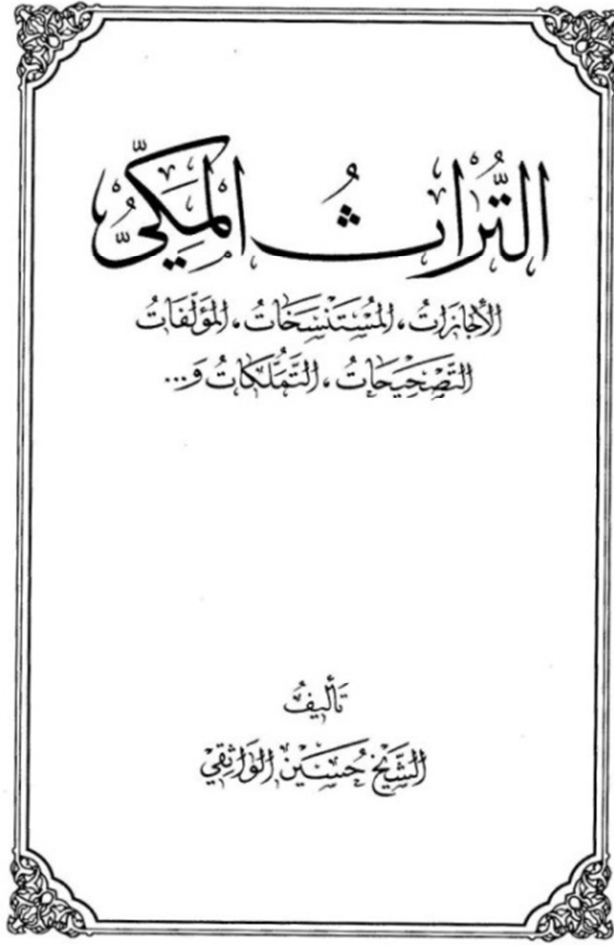
نماذج المخطوطات:



فناذج المخطوطات:

مبقات المعجم : ٤٥ - ١٤٢٧ هـ





من سلسلة ذخائر الحرمين الشريفين

